بعد الانتخابات تستأنف المفاوضات :

أنيس منصور

- عبارات خطابية وكلمات لاتينية
- ما الذى نقصده بحسن النية وأن كل شىء قابل للتفاوض
- انها أستاذية الاقليلاً
- رسالة تحملها الشاهبانو من الملك الحسن
- برقية من وسيلة بورقيبة تذيعها قبل أن تتسلمها السيدة جيهان السادات
- قلنا وقالوا عن القدس ، وفعلنا.. فماذا فعلوا ؟!

الموضوع

لقد أجل الرئيس السادات مفاوضات الحكم الذاتى إلى مابعد الانتخابات الأمريكية . فالرئيس كارتر شريك كامل وهو الآن مشغول بتوحيد الحزب فى وجه الخصوم . فليس الوقت مناسبا لأن يشترك فى قمة ثلاثية مع السادات وبيجين . ولاضرورة لأن يجىء السفير لينوفتس إلى مصر وإسرائيل أيضا ..

إذن فإلى اللقاء بعد الانتخابات الأمريكية .. أو الانتخابات الاسرائيلية ولكن الباب مفتوح والحوار متصل . وعندنا وعند إسرائيل مايمكن أن نقوله ونصححه ونضيفه أو ننعش الذاكرة بالاشارة إليه ..

وفى وقت واحد وبمناسبة واحدة هى ضم « القدس العربية » .. أمامنا خمس رسائل : رسالة من الرئيس السادات (١٨ صفحة) ورد السيد بيجين عليها (١٧ صفحة) .. ثم رد الرئيس السادات (٣٥ صفحة) .

ورسالة من الملك الحسن ورد الرئيس السادات (٢٣ صفحة) لم ينشر بعد .. ثم رسالة ثانية من الملك الحسن .

وبرقية إلى السيدة جيهان السادات من السيدة « الماجدة » وسيلة بورقيبة زوجة الرئيس التونسى . وقد نشرت الصحف التونسية هذه البرقية قبل أن تصل إلى سيدة مصر الأولى جيهان السادات !

واذا لم تكن نعرف كيف تكون المفاوضات بين مصر وإسرائيل وأمريكا . فهذه فرصة ممتعة لنقرأ ذلك على أرفع المستويات السياسية بين مصر وإسرائيل . صحيح أنها تختلف كثيرا عن المفاوضات التى أساسها : المواجهة والحوار المؤجل والخلافات الصغيرة التى تتراكم فتؤدى إلى تأجيل المفاوضات . . . أو إلى نوع غريب من الحوار بين أناس جلسوا متجاورين كما حدث فى هرتسلية . فلا هو حوار ولاهو لقاء إنما هو جلسة أو « قعدة » .

وقد نشرت إسرائيل رسالة الرئيس السادات فور وصولها ؟ !

وربما كان سبب ذلك أنها عرفت أن هذه الرسالة نفسها قد بعث بها الرئيس السادات إلى المانيا والنمسا وفرنسا ويوغوسلافيا واسبانيا – ربما . .

كما نشرت جانبا من رسالة السيد بيجين إلى الرئيس السادات قبل أن يتسلمها السيد حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية . عندما كان الرئيس السادات فى حلوته الروحية فى وادى الراحة .

أما رسالة الملك الحسن الثانى عاهل المغرب فقد أذيعت فى الراديو قبل أسبوع من وصولها إلى الرئيس السادات ؟!

وربما كان السبب الحقيقى من نشرها فى الصحف فور وصولها إلى مصر ماجاء فيها من إشادة بدور مصر من أجل العروبة والإسلام والسلام . وماأعلنه وزير القصر الذى جاء يشارك فى جنازة شاه إيران . من أن الهدف من هذه الرسالة هو فتح حوار مع مصر – ولكن مصر لديها ماتجريه على مواقف المغرب المختلفة . وهى التى تعرف وزن مصر وحجمها وأعماقها . .

ووزير القصر لم يره الرئيس السادات إلا فى مسجد الرفاعى .

ثم التقى الوزير بالشاهانو ونقل اليها رسالة من الملك الحسن يدعوها هى وأولادها لقضاء بضعة أيام فى المغرب . واستأذنت الشاهانو من الرئيس السادات . وأكد لها الرئيس السادات أنها حرة القول والعمل تماما . ثم بعثت الشاهانو بولدها الأمير رضا إلى الرئيس السادات ينقل إليه تفاصيل مادار بين الوزير المغربى وامبراطورة إيران السابقة . .

وجاءت طائرتان من المغرب تنقلان أفراد أسرة الشاه . واتجهت احدى الطائرتين مع الأميرة أشرف إلى أمريكا مباشرة .

ولابد ان تكون دعوة الملك الحسن إلى الامبراطورة فرح تكفيرا عن الإهانات المتكررة لها وللشاه عندما أقاما فى المغرب . .

مثلا : كان الملك الحسن الثانى ينصل بالشاه وزوجته ويخبرهما بأنه سوف يجىء لتناول العشاء معهما . ثم يتركهما ست ساعات ويجىء إليهما بعد أن يكونا قد تناولا الطعام وخلعا ملابسهما واستعدا للنوم . حدث ذلك كثيرا .

شىء أعجب من ذلك . . فالملك الحسن يعلم أن ملك اليونان السابق قسطنطين يعمل وكيلا لأعمال شاه إيران . فاستدعاه الملك الحسن من باريس للحضور فورا . ولما حضر قال له بمنتهى الوضوح : اذهب إلى الشاه وقل له يترك المغرب فورا !

وعندما عادت الشاهانو من المغرب قبيل عيد الفطر . اتصلت بالسيدة جيهان السادات تقول : عندى رسالة من الملك الحسن إلى الرئيس السادات . إنه يرجو أن يصله من الرئيس السادات أى رد على رسالته .

وكتب الرئيس السادات ردا طويلا (٢٣ صفحة) . . هذا الرد استهله الرئيس السادات بقوله : تلقيت رسالتكم الكريمة التى عبرتم فيها عن تقديركم العميق لدور مصر وجهادها وتضحياتها فى سبيل نصرة الإسلام وعزة المسلمين . وإعلاء كلمة الله ونشر الحضارة الإسلامية . وتحملها أعباء الذود عن مقدسات الأمة العربية والدفاع عن قضاياها العادلة . وأود أن أسجل تقديرى البالغ لهذه المشاعر وللروح التى حدت بكم إلى تقدير هذه الحقائق التاريخية الثابتة . بعد تحاهلها والافتئات عليها فى غمرة الأحداث التى صاحبت عقد الاجتماع الأخير لما يسمى بالمؤتمر الإسلامى فى عاصمتكم . والتصرفات غير المسئولة التى صدرت فى حق مصر وشعبها الذى يقبل – بكل رضا وقناعة – المسئولية التى قدر له أن يتحملها . ويتصدى لحمل الأمانة دون أن يمن على أحد ودون أن ينتظر كلمة وفاء . أو شهادة صدق عما قدمه ويقدمه من أجل نصرة قضايا الأمتين العربية والإسلامية . لأنه يؤدى هذا الدور من منطلق ثباته على المبدأ ووفائه للحق وقبوله لقدره . وولائه لتعاليم الخالق جل شأنه . لاسعيا وراء نفع ذاتى . أو انتظارا لآيات الحمد والثناء

كاسيها يقودان فرقة موسيقية من النافخين فى الناى والضاربين للطبول .

وقال الرئيس السادات دفعا للشبهات من أى نوع : وأحب أن أؤكد أننى لاأبعث بهذه الرسالة سعيا لحضور أى مؤتمر يعقد فى بلدكم الشقيق . الذى يقوم شاهدا على الروابط الوثقى التى جمعت شعبنا الأصيل بشعوب أمتنا الخيرة على امتداد تاريخه الحافل . فلاشك عندى أنكم تعلمون جيدا أن مصر – التى تحملت الإساءة تلو الإساءة جزاء على مافدمته من تضحيات – لايهمها فى قليل أو كثير أن تحضر مؤتمرات لتجمعات فقدت أهليتها للتعبير عن إجماع الأمة والجهاد فى سبيل الله والحق والخير .

ويقول الرئيس السادات . وهو يمهد لأن يحكى للملك الحسن جهود مصر الأخيرة من أجل « عروبة القدس » والدفاع عن الحقائق القانونية والسياسية للمسلمين فيها : ولسنم بحاجة إلى أن أذكر لكم مافعلته مصر فى سبيل نصرة العرب والمسلمين . بعد أن عرضت عن هذا أبلغ تعبير وأصدقه . كما أننى لست بحاجة إلى أن أسرد لكم الخطوط الأساسية للسياسة التى تتبعها مصر فى جهادها العربى على جميع الجبهات . ذلك أن سياستنا واضحة تتحدث عن نفسها . فنحن – اهتداء بتعاليم ديننا وقيمنا الحضارية – نسير على سياسة واحدة . ولانفرق بين السر والعلن .

ويقول الرئيس السادات . ومن المهم أن نقرر أن ماتتعرض له القدس العربية والإسلامية لم يبدأ بالأمس القريب . بل إنها محاولات ومخططات قديمة قطعت فيها إسرائيل شوطا طويلا . مستغلة فى هذا سلبية العرب والمسلمين . واكتفاءهم بالصراخ والعويل . فى مواجهة الفعل والتحرك . وترتب على هذا أن وصلنا إلى تلك المرحلة التى تعكس اختلالا كبيرا بين موقف طرف يملى إرادته مستغلا احتلاله للأرض وسيطرته على مقاليد الأمور . وآخر يتواكل فى سلبية مدمرة . تشل حركته . وتجعله واقعا تحت تخدير الاعتقاد بان الكلمة . قادرة على تغيير الواقع . والاستسلام للتمنى . كما لو كانت الأحداث تقع عفوا أو تتم اعتباطا .

وأعاد الرئيس السادات ذكر مواقفه التاريخية منذ خطابه فى الكنيست الإسرائيلى إلى مشاورات واتفاقيات كامب دافيد .

ثم روى للملك الحسن سرا يحكيه لأول مرة فقال : بعد مباحثات مضنية وجدل مرير . تقدم الرئيس الأمريكى كارتر – وأنتم تعرفون الدور الكبير الذى قام به – بصيغ عديدة حاول فيها التوفيق بين

الملك الحسن الثانى .. لقد أراد أن يكفر عن اهانته للشاه وأسرته .

السيدة وسيلة بورقيبة نشرت برقيتها فى الصحف قبل أن تسلمها السيدة جيهان السادات !

وجهتى نظر كل من الطرفين . واسمحوا لى أن أذيع لكم سرا لأول مرة . وهو أنى وجدت هذه الصيغ . وكانت آخرها مقدمة بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٧٨ . أى فى اليوم الأخير للمؤتمر . مبهمة وغامضة فى تسوية المشكلة بما يحفظ الحقوق العربية والإسلامية . ففضلت حذف تلك الصيغة وترك المسألة لمزيد من التحرك مع الجانب الإسرائيلى . بعد أن نسجل موقفنا ومطالبنا بكل وضوح فى خطاب رسمى مكمل لمواثيق السلام . وبحث الجانب الأمريكى على تسجيل موقفه هو الآخر . بما يضمن ثبات هذا الموقف وعدم اهتزازه أو تآكله !

ثم أشار الرئيس السادات إلى العوان الذى يعيشه العالم العربى . والعجز أمام القضايا التى تهز المسلمين فى افغانستان وإيران . وإلى السلبية الفاضحة فى العالم العربى كله . وأكد الرئيس السادات مواقف مصر الإيجابية فى كل المحافل الدولية

ثم قال : وثمة مسألة أخرى أحب أن أطرحها للحقيقة والتاريخ . فرغم الإساءات التى وجهت لمصر من تجمع يتحلل صفة الإسلام بعد اجتماع عقد فى عاصمة بلادكم . فقد ظلت مصر حافظة لمسئوليتها . وفية لمبادئها وقيمها . حريصة على مواقفها فى طليعة المسيرة القومية التاريخية . وعلى قيادة كل عمل جاد يقوم به العرب والمسلمون للذود عن المصلحة العربية والإسلامية العليا . والتصدى للتحديات التى تواجه أمتنا فى حاضرها ومستقبلها . وفى الوقت الذى ينتصل فيه الآخرون من مسئولياتهم ويكتفون بأن يقولوا : اذهب انت وربك فقاتلا . إنا هاهنا قاعدون . فإن مصر لاتتردد فى أن تعطى بسخاء فى سبيل تحقيق الأهداف القومية . وأن تقتسم قوتها ومواردها مع إخوتها فى العقيدة مهما صادفت من تجاوزات ونكران للجميل .

وفى نهاية رسالته إلى الملك الحسن يتساءل الرئيس السادات : « أما آن الأوان لكى يراجع كل منا نفسه . وينظر إلى عمله بمنظار الشعور بالمسئولية التاريخية الجسيمة التى نواجهها جميعا . وليس بمنظار المصالح الذاتية الضيقة والرؤية الانانية المدمرة ؟ . . »

وقد بعث الرئيس السادات بصورة من هذه الرسالة إلى كل رؤساء الدول الإسلامية غير العربية .

ججج

حتى برقية السيدة وسيلة بورقيبة كانت تتعلق هى الأخرى بالقدس . وبالعبرة الشفوية السلبية على ماأصاب القدس . ونحن لانعرف أن لتونس دورا من أى نوع فى أية قضية عربية . وبدلا من أن تبعث السيدة وسيلة بورقيبة بهذه البرقية إلى سى الحبيب بورقيبة . فإنها آثرت أن تنشرها أولا . ثم تبعث بها بعد ذلك إلى السيدة جيهان السادات .

وقد أرادت السيدة وسيلة أن تشهد العالم كله على موقفها هذا . فسجلت بذلك غلطتين . إحداهما قومية والأخرى شخصية . فالغلطة الشخصية أنها نشرت البرقية قبل أن تتسلمها السيدة جيهان السادات – كما تقضى آداب الدبلوماسية المعروفة ! .

والغلطة الثانية أنها فضحت نفسها وزوجها وتونس لأنها سجلت على الجميع ان أقصى مايمكن فعله من أجل القدس والعرب وفلسطين هو إرسال هذه البرقية من فوق سفوح الجبل فى سويسرا حيث تعمل السيدة وسيلة على إنقاص وزنها ١٥ كيلو جراما للمرة الثانية فى ١٨ شهرا !

ججج

وعلى الرغم من أن الرئيس السادات قد اشار فى خطابه إلى الملك الحسن بعض مابعث به إلى السيد مناحم بيجين . فإن أسلوب الرئيس السادات فى مخاطبة رئيس وزراء إسرائيل مختلف تماما . فهو منطق إلى أبعد حد . وهو يتحدث من وراء بيجين إلى كل الشعوب اليهودية . يسجل مواقفه . وينتظر رد الفعل على ذلك .

بعد الانتخابات تستأنف المفاوضات :

والخلاف بين الرجلين واضح . ومؤكد ومستمر . وطبيعى . ولكن رغم ذلك أو بسبب ذلك . فسوف يكون لقاء على مبادىء أو على طريق لتحقيق السلام .

١ فهناك إحساس عند الرجلين بالتاريخ . أى أن كل مايفعله كل منهما هو تاريخ أو جزء من التاريخ . ثم إن هناك أبعادا دينية عميقة عند كل منهما . فالرئيس السادات يستوحى الخلوة الروحية عند جبل موسى . ويستعيد قصة خروج اليهود من مصر وضلالهم فى سيناء . ويرى أن الوقت قد حان لتقوم مصر بإنهاء هذا العذاب من أجل التعايش والسلام فى هذه المنطقة . وأن هذا هو قدر مصر – وهو قدر الرئيس السادات أيضا ..

والسيد بيجين يستهل خطابه بمعنى فلسفى دينى . ولايجد مبررا للاعتذار عن محاولته أن يتفلسف . فهو يذكر الرئيس بذلك الجهاز الذى اخترعته إسرائيل وتصدره إلى امريكا . وشاهده الرئيس السادات فى حيفا . هذا الجهاز التقط صورا لقلب السيد بيجين . وأصر الطبيب المعالج على أن يعرض الصور عليه . فليس القلب إلا مضخة تدفع الدم . ومع الدم الفكر والتأمل والحب والخوف .. أى الحياة . ويتفلسف بيجين فيقول : إنه مادام القدر قد اختار أناسا ليكونوا على رءوس شعوبهم وقيادة قدرها . فلابد أن يعملوا من أجل السلام مادامت قلوبهم تدق ..

٢ هناك حساسية شديدة للعبارات التى تجىء فى غير موضعها أو تحمل معنى مفاجئا . فالرئيس السادات يلاحظ أن السيد بيجين قد استخدم عبارات قاطعة للطريق .. مثل قوله بأنه تستحيل إزالة المستوطنات فى الضفة والقطاع والجولان . وينبه الرئيس السادات إلى أن مثل هذه العبارة لاتساعد على المفاوضات . وفى نفس الوقت تعتبر خرقا لما تم الاتفاق عليه ..

ويلاحظ السيد بيجين أن الرئيس السادات قد أورد ماقاله لرئيس وزراء اسرائيل . دون أن يورد الرد على ذلك .. فيعود الرئيس يذكره بماقاله السيد بيجين فى حينه . ويحاول السيد بيجين أن يتناساه ..

وحين يتحدث السيد بيجين عن الصحافة المصرية يصفها بأنها تخضع لسلطات الدولة . وعلى ذلك فالهجوم على شخصه هو بموافقة الدولة .

ويرد عليه الرئيس السادات بأنها غلطة فظيعة أن يقول ذلك . فالصحف المصرية تهاجم الحكومة أيضا . وإن كان الرئيس السادات يكره الهجوم على الأشخاص .

٣ وكثيرا وبسرعة تثار مناقشات لغوية . يحذر منها الرئيس السادات ومن العبارات الخطابية التى لاتساعد على التفهم أو التفاهم إنما هى مضيعة للوقت .

مثلا يذكره الرئيس السادات بما سبق أن قاله لرئيس وزراء بريطانيا مستر كالاهان من أن كل شىء قابل للتفاوض ماعدا تحطيم إسرائيل . ويلاحظ الرئيس السادات أن السيد بيجين يرفض التفاوض فى القدس والمستوطنات والأمن . ويتوقف عند كلمة هنا أو كلمة هناك .

٤ من الملاحظ أن هذه الرسائل لها شكل الوثائق الدولية التاريخية الرفيعة الشأن . فهى تلجأ إلى التعبيرات الفقهية والمصطلحات اللاتينية . وقد استخدم السيد بيجين تعبيرا فى الفلسفة والمنطق هو « التناقض فى الحدود » أى التناقض بين المبتدأ والخبر . كأن تقول : الابيض أسود .. أو الأسود أبيض ..

فهو يشير إلى ماقاله الرئيس السادات من أن تكون سيادتان على مدينة القدس . ويرى السيد بيجين أن السيادتين معناهما إعادة تقسيم المدينة . بينما المقصود هو وحدة الإدارة البلدية العربية واليهودية فى مدينة القدس ..

وفى نفس الوقت استنكار مصر والعالم كله لفرض السيادة على القدس بقوة الاحتلال العسكرى أو الأمر الواقع !

٥ نحن معا نشيد بالدور الكبير الذى قام به الرئيس الأمريكى . فهو الحاضر الغائب فى هذه الرسائل .. وهو « الجندى المجهول » كما يصفه الرئيس السادات . وراء اتفاقية السلام

ومن اجل تدعيم دور كارتر . والامتنان له أيضا . يجب أن تظل عملية السلام ساخنة . والا نسمح بأن تكون دخانا يفسد المعركة الانتخابية فى أمريكا ..

٦ الخوف على السلام أو على الاتفاقية جعل مصر وإسرائيل تتهم كل منهما الأخرى بالخروج على اتفاقية كامب دافيد . مما يعطى انطباعا بأن هناك تفسيرين لاتفاقية واحدة . او بأن أحد الطرفين قد اكتشف أنه قد انخدع تماما بالعبارات اللامعة التى تشبه السراب .. وأن السلام وروعة السلام قد جرفته تماما . فلم يستفق من هذه النشوة إلا أخيرا .

٧ وبداية الرسائل ونهايتها ودية شخصية .. تبدأ بحمد الله على الصحة والعافية . وتنتهى بالسلام والتحية للسيدة الفاضلة قرينة الرئيس السادات وقرينة رئيس الوزراء . ولكن هذه العبارات الودية تقليدية مثل المصافحة باليد التى تبدأ بين المصارعين والملاكمين ..

٨ وفى صلب هذه الرسائل نوع من الأستاذية إلا قليلا .. فكلا الرجلين يلقن الآخر درسا فى المناقشة أو فى التاريخ أو فى المناورة السياسية .. ولكنه لايصرح بذلك . أو لايحب ان يعطى هذا الانطباع . فكلا الرجلين يعرف حجمه ووزنه وأبعاده قوميا ودوليا . ولكن من المؤكد أن كلا منهما يتحدث إلى الملايين وراءه والملايين من بعده .

ولذلك كان الحديث ليس تعاليا إنما هو نوع من اللوم الرقيق ، أو الصلابة المهذبة .

ولذلك أمكن أن يقال إن الزعيمين يقودان فرقة موسيقية من الذين يتمخون فى الناى ويدقون الطبول . فالأنغام ناعمة ، ولكن الإيقاع عنيف . وهذه هى « الحرفية » السياسية ..

ومن أربعة قرون كتب الفيلسوف الإيطالى ماكيافيللى فى كتابه « الأمير » يقول : إن الأمير لكى يدخل التاريخ عظيما مجيدا لابد له من إنجاز كبير . هذا الإنجاز هو القوة الدافعة والرافعة فى سلم التاريخ .. ويقول ايضا : وعلى الأمير أن يكون قويا فى صداقته وفى عداوته .. فيكون الصديق القوى ويكون العدو العنيد . فالناس يكرهون الرجل « المحايد » أى الذى يقف بين العواطف دون أن يشارك فيها ..

وقد جرب الرجلان العداوة العنيفة . وهما اليوم يجربان الصداقة القوية والحوار العاقل . والمشاعر الدينية . والمد القومى . والأضواء العالمية .. وبعملية حسابية صغيرة جدا . يكتشف كل منهما أن التاريخ ينظر إليه وينتظره . وأن هذه الرسائل ليست إلا فصولا متوالية فى سجل السلام بالشرق الأوسط والعالم ..

٩ ولم يشأ أحدهما أن يقول إن قضية القدس قد قفزت من تسلسلها الزمنى . فأصبحت فى المقدمة . فقد كان من المتفق عليه أن تناقش القدس فى مرحلة تالية . ولكن المد الدينى فى المنطقة . ثم الوجدان الدينى المصاحب لقضية الأرض العربية المحتلة والشعب الفلسطينى المطرود من أرضه . والمعذب فى السجون . والرفض العربى . والخيرة الأوربية بين البترول العربى والصداقة الأمريكية . والمناورات الحزبية فى إسرائيل . والمزايدات الانتخابية فى أمريكا .. كلها نقلت قضية القدس إلى رأس القائمة ..

الإمبراطورة إيران السابقة عادت من الغرب برسالة خاصة

ملك اليونان السابق قسطنطين ذهب إلى الشاه وقال : أخرج من الغرب !

وهنا كان لابد أن يناقش الرئيس السادات مغالطة السيد بيجين وهو يتحدث عن القدس فيقول : إن لليهود حقوقا فى المدينة ولكن للعرب مشاعر : أى للمسلمين والمسيحيين .. أى اليهود فقط أصحاب الحق . وبهذا الحق سوف يسمحون لغيرهم بارتياد أماكن العبادة دون أن تكون لهم حقوق !

فهل اليهود الذين لهم حق لامشاعر لهم ؟ .. وهل المسلمون والمسيحيون الذين لهم مشاعر لاحق لهم فى مدينة القدس ؟ . من المؤكد أن لليهود مشاعر أيضا . ولكن العرب إلى جانب المشاعر لهم حق فى أرضهم وفى أن يكون لهم وطن .

وكان الاتفاق على أن تجىء قضية القدس بعد ذلك قليلا فى جدول الأعمال . ومادامت قد استقرت عند المقدمة ، سارعت إسرائيل بضمها . وسارع العالم كله ، ومصر قبل ذلك ، بإدانة هذا القرار ومايترتب عليه . وليس صحيحا أن مصر بتضامنها مع الأمم المتحدة ، أصبحت « معادية للسامية » — فنحن لانوصف بهذه الصفة لأننا ساميون . ولكن معنى ذلك أن العالم كله — مسيحيين ومسلمين — ضد إسرائيل ، أيا كانت الصفة التى تخلعها إسرائيل على هذا الموقف المضاد أو الموقف الرافض لقرارات إسرائيل !

فهل دخلنا الآن فى الساعات الأولى من « استراحة قصيرة » بين مفاوضات ومؤتمر القمة الثلاثى بعد الانتخابات الأمريكية ؟ .. لايمكن تحديد مسار الأحداث منذ الآن . فهناك أشياء كثيرة تؤثر على العلاقات الدولية العربية والأوربية والأمريكية ..

وقد ندخل فى أنواع أخرى من الحوار بين أجهزة الإعلام .. أو بين الرسميين فى مؤتمراتهم الصحفية .. أو قد نعود إلى إصدار البيانات الرسمية للتوضيح أو التكذيب ..

وقد نفاجأ بالانتخابات الإسرائيلية التى سوف تتخذ مادتها من إنجازات السلام .. أو عجز حكومة السيد مناحم بيجين عن تحقيق مايتطلع إليه المتطرفون فى السياسة والدين ..

وسوف يشعر الناس بالارتياح لما حدث .. وماحدث هو أن الحوار مستمر . وأن توقف المفاوضات أو تعثرها أو تخبطها أو ترديها لايدل على انقطاعها . إنما على استمرارها وحركتها . وفى نفس الوقت يؤكد حرصنا على سلامتها — على الذى أنجزناه والذى اكتسبناه .

وقد يؤدى الخوف على السلام إلى أن نقع فى المتناقضات .. كيف ؟

هناك عبارة مشهورة للزعيم لينين تقول : إن الحرية شىء نادر . ولذلك يجب أن نوزعها بالبطاقات .. أى نحرص على توزيعها بالحساب .. أى نحرصنا على التضييق عليها !

وعبارة أخرى لتشرشل تقول : إن الحقيقة شىء نادر . ولذلك يجب أن نحميها بجيش من الأكاذيب ! أى يجب أن نحق الحقيقة فى أكاذيب كثيرة حتى نخفيها عن عيون الناس ..

وهذا هو التناقض . وهذا ماخشاه أيضا . فيكون دفاعنا عن السلام بعنف وبقسوة وبمرارة وبأن نضع أيدينا على الأقلام كأننا نضعها على الزناد .. وننسى فى دفاعنا عن السلام . أن السلام مشترك — أى سلامنا معا . وليس سلامنا وحدنا .

وسوف نتعلم . كما تعلمنا . أن التحرر من الخوف ليس علاجه أن نضع التحرر نفسه فى السلاسل .. وأن خوفنا على الحقيقة هو أن ندفنها فى نعش من الكذب الحريرى . وأن حرصنا على السلام ليس كما تفعل بعض الحيوانات عندما تبتلع صغارها خوفا عليها .. أى بأن نخفيها فى أحشائنا . ولانعرف أنها قد دفنتها !

لقد أنهيت مقالى بسرعة فأنا أريد أن أقرأ هذه الرسائل من جديد !